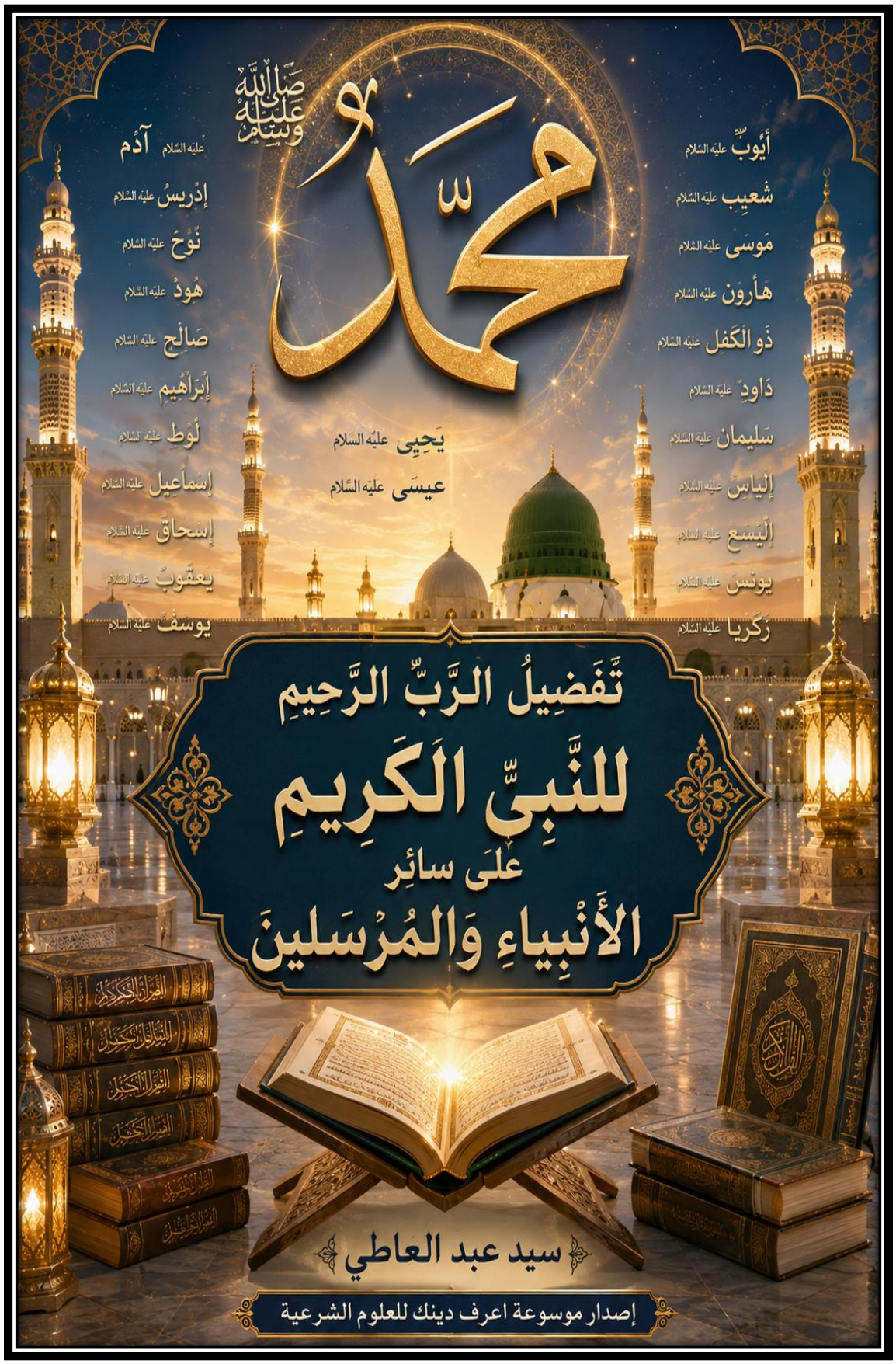
محمد
صلى الله عليه وسلم
أيوب عليه السلام
شعيب عليه السلام
موسى عليه السلام
هارون عليه السلام
ذو الكفل عليه السلام
داود عليه السلام
سليمان عليه السلام
إلياس عليه السلام
اليسع عليه السلام
يونس عليه السلام
زكريا عليه السلام
يحيى عليه السلام
عيسى عليه السلام
آدم عليه السلام
إدريس عليه السلام
نوح عليه السلام
هود عليه السلام
صالح عليه السلام
إبراهيم عليه السلام
لوط عليه السلام
إسماعيل عليه السلام
إسحاق عليه السلام
يعقوب عليه السلام
يوسف عليه السلام
تفضيل الرب الرحيم
للنبي الكريم
على سائر
الأنبياء والمرسلين
سيد عبد العاطي
إصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للَّهِ الْمُتَفَرِّدِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَسِعَ كُلَّ شَيء رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا آلَاءً وَأَفْضَالًا وَنِعَمًا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ،وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،أَعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا، فَتَحَ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ،وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ،خَيْرِ الْأُمَّةِ سِيرَةً وَنَهْجًا، وَأَزْكَاهُمْ بِرًّا وَتَقْوىً، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ حَوْلَ تَفْضِيلِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِين سَائِلًا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا لِوَجْهِهِ خَالِصَةً،وَمِنَ النِّيرَانِ مُخَلِّصَةً،وَإِلَى الْجِنَانِ مُقَرِّبَةً ،هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ :

–لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–تَكْرِيمًا مَا كَرَّمَهُ لأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ،فَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:

(أ)التَّكْرِيمُ فِي النَّسَبِ:

لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي النَّسَبِ فَجَعَلَهُ فِي أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ،وَقَدْ حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا النَّسَبَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ،حَتَّى جَاءَ مِنْهُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–هِدَايَةً وَرَحْمَةً للعَالَمِينَ،وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ذَلِكَ لِيُعَظِّمَ النَّاسُ قُرَيْشًا وَبَنِي هَاشِمٍ الَّذِينَ هُمْ صُلْبُ نَسَبِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٢٧٦)مِنْ حَدِيثِ وَاثِلَة بْنِ الْأَسْقَعِ اللَّيْثِيِّ أَبُو فسيلَة-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ،وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ،وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بن إِبْرَاهِيمَ-عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-،وَصَفْوَةُ الشَّيءِ: خِيَارُهُ وَأَفْضَلُهُ، قِيلَ: مَعْنَى اخْتِيَارِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ:

تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُ بِصِفَاتِ كَمَالِ نَوْعِهِ، وَجَعْلُهُ إِيَّاهُ أَصْلًا لِذَلِكَ النَّوْعِ، وَإِكْرَامُهُ لَهُ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَنَافِذِ حُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}.(القصص: ٦٨)، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ كِنَانَةَ -وَهُوَ ابْنُ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ- مِنْ جُمْلَةِ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ، وَاخْتَارَ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَهُمْ أَوْلَادُ نَضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، كَانُوا تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، وَجَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فِي مَكَّةَ، فَسُمُّوا قُرَيْشًا؛ لأَنَّهُ قَرَشَهُمْ، أَيْ: جَمَعَهُمْ فِي الْحَرَمِ مِنْ حَوَالَي مَكَّةَ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ قُرَيْشًا بِمُصَغَّرِ الْقِرْشِ، وَهِيَ دَابَّةٌ بَحْرِيَّةٌ تَخَافُهَا دَوَابُّ الْبَحْرِ كُلُّهَا، وَكَذَلِكَ قُرَيْشٌ سَادَاتُ النَّاسِ جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَتِهِمْ قُرَيْشًا، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَكَارِمُ؛ مِنْهَا: السِّقَايَةُ، وَالْعِمَارَةُ، وَالرِّفَادَةُ، وَالْحِجَابَةُ، وَغَيْرُهَا، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ آلَ اللَّهِ ،وَجِيرَانَ اللَّهِ.

وَاصْطَفَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَهُمْ بَنُو هَاشَمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ، وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى عَدْنَانَ،وَاصْطَفَاهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.

وَنَسَبُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى عَدْنَانَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ

لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

-وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ مِنْ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مَنْ جَعَلَهُ مَعْدِنَ نُبُوَّتِهِ، وَمَحِلَّ رِسَالَتِهِ، فَأَوَّلُهُمْ: آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ مِنْ نُطْفَتِهِ نُطْفَةً كَرِيمَةً، فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُلُهَا مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، فَكَانَ مِنْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ،كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(آل عمران:٣٣-٣٤).

-وَفِي الْحَدِيثِ:اصْطِفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ خِيَارِ الْأَنْسَابِ.

-وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ بِرَقَمِ(٤٧٢٨)وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقَمِ(٣٢٢٥)مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ ،وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ ، منْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَ أُمِّي،لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيءٌ}.

(ب)التَّكْرِيمُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُحِيطَةِ بِهِ:

-وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَكْرِيمُ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَأَبُوهُ(عَبْدُ اللَّهِ)فِي زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي تُعَبَّدُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ك(عَبْد شَمْس)،و(عَبْد عَمْرو)،وَ(عَبْد الْكَعْبَة)،وَأُمُّهُ (آمِنَة بِنْت وَهْب)أَمْنٌ وَهِبَة وَعَطَاءٌ،وَقَابِلَتُهُ هِيَ(الشِّفَاء)أُمّ عَبْدِ الرَّحِمَن بْنِ عَوْفٍ،وَأَوَّلُ مُرْضِعَةٍ لَهُ هِيَ(ثُوَيْبَةُ

الْأَسْلَمِيَّةُ)جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ ثُوَابٌ وَسِلْمٌ وَسَلَامٌ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-وَمُرْضِعَتُهُ(حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ)

حِلْمٌ وَسَعَادَةٌ وَرَجَّحَ الْعُلَمَاءُ إِسْلَامَهَا هِيَ وَزَوْجُهَا-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-،وَحَاضِنَتُهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهِ هِيَ(أُمُّ أَيْمَن بَرَكَة بِنْت ثَعْلَبَة الْحَبَشِيَّة)بَرَكَةٌ وَيُمْنٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-.

(ج)تَزْكِيَتُهُ فِي عِلْمِهِ وَقَصْدِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَجَوَارِحِهِ:

•لَقَدْ زَكَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فَقَالَ تَعَالَى:{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}.(النَّجم:٢).

-فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَدْرِ السُّورَةِ بِالنُّجُومِ إِذَا غَابَتْ،

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، تَنْزِيهُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنِ الضَّلَالِ فِي عِلْمِهِ، وَالْغَيِّ فِي قَصْدِهِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُهْتَدِيًا فِي عِلْمِهِ، هَادِيًا، حَسَنَ الْقَصْدِ، نَاصِحًا لِلأُمَّةِ بِعَكْسِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الضَّلَالِ مِنْ فَسَادِ الْعِلْمِ، وَفَسَادِ الْقَصْدِ

-وَقَالَ {صَاحِبُكُمْ} لِيُنَبِّهَهُمْ عَلَى مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْهُ، مِنَ الصِّدْقِ وَالْهِدَايَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ .

•وَزَكَّاهُ رَبُّهُ تَعَالَى فِي مَنْطِقِ لِسَانِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}.(النَّجم:٣-٤).

-{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} أَيْ: لَيْسَ نُطْقُهُ صَادِرًا عَنْ هَوَى نَفْسِهِ،فَمَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوىً وَغَرَضٍ.

-{ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } أيْ: لَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالتَّقْوَى، فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ.

: وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ شَرْعِهِ، لأَنَّ كَلَامَهُ لَا يَصْدُرُ عَنْ هَوَى ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَنْ وَحْيٍ يُوحَى.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ}.(النَّجم:٥).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ثُمَّ ذَكَرَ الْمُعَلِّمَ للرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَهُوَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-،أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ وَأَقْوَاهُمْ وأكملهم، فقال: { عَلَّمَهُ [شَدِيدُ الْقُوَى] } أيْ: نَزَلَ بِالْوَحْيِ عَلَى الرَّسُولِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، { شَدِيدُ الْقُوَى} أيْ:شَدِيدُ الْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، قَوِيٌّ عَلَى تَنْفِيذِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَنْفِيذِهِ، قَوِيٌّ عَلَى إِيصَالِ الْوَحْيِ إِلَى الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَنْعِهِ مِنَ اخْتِلَاسِ الشَّيَاطِينِ لَهُ، أَوْ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لِوَحْيِهِ،أَنْ أَرْسَلَهُ مَعَ هَذَا الرَّسُولِ الْقَوِيِّ الْأَمِينِ}.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى قَلْبَ نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ}.(النَّجم:١١).

- قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } أيْ: اتَّفَقَ فُؤَادُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَرُؤْيَتِهِ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَتَوَاطَأَ عَلَيْهِ سَمْعُهُ وَقَلْبُهُ وَبَصَرُهُ،وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ،وَأَنَّهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ تَلَقِّيًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَة وَلَا رَيْب، فَلَمْ يَكْذِبْ فُؤَادُهُ مَا رَأى بَصَرُهُ،وَلَمْ يَشُكّ

بِذَلِكَ.وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مَا رَأَى-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنَّهُ تَيَقَّنَهُ حَقًّا بِقَلْبِهِ وَرُؤْيَتِهِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَقِيلَ:

إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ رُؤْيَةُ الرَّسُولِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِرَبِّهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَتَكْلِيمُهُ إِيَّاهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَأَثْبَتُوا بِهَذَا رُؤْيَةَ الرَّسُولِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِرَبِّهِ فِي الدُّنْيَا،وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ،مَرَّةً فِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى، تَحْتَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-}.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى بَصَرَ نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ}.(النَّجم:١٧).

-{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } أَيْ: مَا زَاغَ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً عَنْ مَقْصُودِهِ { وَمَا طَغَى } أَيْ: وَمَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ، وَهَذَا كَمَالُ الْأَدَبِ مِنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَنْ قَامَ مَقَامًا أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ عَنْهُ وَلَا تَجَاوَزَهُ وَلَا حَادَ عَنْهُ،وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي فَاقَ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَإِنَّ الْإِخْلَالَ يَكُونُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ: إِمَّا أَنْ لَا يَقُومَ الْعَبْدُ بِمَا أُمِرَ بِهِ، أَوْ يَقُومَ بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْرِيطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَاطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْحَيْدَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا مُنْتَفِيَةٌ عَنْهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى صَدْرَ نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}.(الشَّرْح:١).

-يَقُولُ تَعَالَى -مُمْتَنًا عَلَى رَسُولِهِ-: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } أَيْ: نُوَسِّعُهُ لِشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالاتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ فَلَمْ يَكُنْ ضَيِّقًا حَرَجًا، لَا يَكَادُ يَنْقَادُ لِخَيْرٍ، وَلَا تَكَادُ تَجِدْهُ مُنْبَسِطًا.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}.(الشَّرْح:٤)

-{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } أَيْ: أَعْلَيْنَا قَدْرَكَ، وَجَعَلْنَا لَكَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ الْعَالِيَ، الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا يُذْكَرُ اللَّهُ إِلَّا ذُكِرَ مَعَهُ رَسُولُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، كَمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَالْخُطَبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَعْلَى اللَّهُ بِهَا ذِكْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.
وَلَهُ فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ مَا لَيْسَ لأحَدٍ غَيْرِهِ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى أَخْلَاقَ نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }.(القلم:٤).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْن نَاصِر السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } أَيْ: عَالِيًا بِهِ، مُسْتَعْلِيًا بِخُلُقِكَ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ، وَحَاصِلُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ، مَا فَسَّرَتْهُ بِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ،عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لِمَنْ سَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ:
{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }. { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ }.(الآية)، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالمْؤُمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }

وَمَا أَشْبَه ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى اتِّصَافِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْآيَاتُ الْحَاثَّاتُ عَلَى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ فَكَانَ لَهُ مِنْهَا أَكْمَلُهَا وَأَجَلُّهَا، وَهُوَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْهَا، فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا، فَكَانَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-سَهْلًا لَيِّنًا، قَرِيبًا مِنَ النَّاسِ، مُجِيبًا لِدَعْوَةِ مَنْ دَعَاهُ، قَاضِيًا لِحَاجَةِ مَنِ اسْتَقْضَاهُ، جَابِرًا لِقَلْبِ مَنْ سَأَلَهُ،لَا يَحْرِمُهُ،وَلَا يَرُدُّهُ خَائِبًا،وَإِذَا أَرَادَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ أَمْرًا وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ، وَتَابَعَهُمْ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَحْذُورٌ، وَإِنْ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَسْتَبِدَّ بِهِ دُونَهُمْ ، بَلْ يُشَاوِرُهُمْ وَيُؤَامِرُهُمْ ، وَكَانَ يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَعْفُو عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُعَاشِرُ جَلِيسًا لَهُ إِلَّا أَتَمَّ عِشْرَةٍ وَأَحْسَنَهَا، فَكَانَ لَا يَعْبَسُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يَغْلُظُ عَلَيْهِ فِي مَقَالِهِ، وَلَا يَطْوِي عَنْهُ بِشْرَهُ، وَلَا يُمْسِكُ عَلَيْهِ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ مِنْ جَفْوَةٍ، بَلْ يُحْسِنُ إِلَي عَشِيرِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَيَحْتَمِلُهُ غَايَةَ الاحْتِمَالِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-}.

(د)غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّهُ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا(١)لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا}.(الفتح:١-٢).

-هَذَا الْفَتْحُ الْمَذْكُورُ هُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ صَدَّ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَ مُعْتَمِرًا فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ، صَارَ آخِرُ أَمْرِهَا أَنْ صَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، وَعَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَعَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَحِلْفِهِمْ دَخَلَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَقْدِهِ فَعَلَ.

وَبِسَبَبِ ذَلِكَ لَمَّا أَمِنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، اتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الدَّعْوَةِ لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَارَ كُلُّ مُؤْمِنٍ بِأَيِّ مَحِلٍّ كَانَ مِنْ تِلْكَ الْأَقْطَارِ، يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمْكَنَ الْحَرِيصَ عَلَى الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ، فَدَخَلَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ فَتْحًا، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ فَتْحٌ مُبِينٌ أَيْ:

ظَاهِرٌ جَلِيٌّ، وَذَلِكَ لأَنَّ الْمَقْصُودَ فِي فَتْحِ بُلْدَانِ الْمُشْرِكِينَ إِعْزَازُ دِينِ اللَّهِ، وَانْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا حَصَلَ بِذَلِكَ الْفَتْحِ.

-وَرَتَّبَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ عِدَّةَ أُمُورٍ، فَقَالَ: { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ }.،وَذَلِكَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- بِسَبَبِ مَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ، وَالدُّخُولِ فِي الدِّينِ بِكَثْرَةٍ، وَبِمَا تَحَمَّلَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الَّتِي لَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا إِلَّا أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَنَاقِبِهِ وَكَرَامَاتِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

-{وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} بِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَنَصْرِكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَاتِّسَاعِ كَلِمَتِكَ، { وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } تَنَالُ بِهِ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَالْفَلَاحَ السَّرْمَدِيَّ.

(هـ)جَعَلَ رِسَالَتَهُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنْ جَعَلَ رِسَالَتَهُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ}.(الأنبياء:١٠٧).

-فَمِنْ مَظَاهِرِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّاسِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَكُونَ رَحْمَةً لَهُمْ فَقَالَ :{وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} .

أىْ : وَمَا أرْسَلْنَاكَ – أيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ – بِهَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ ، إلَّا مِنْ أجْلِ أنْ تَكُونَ رَحْمَةً للعَالَمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنّ .

وَذَلِكَ لأنَّنَا قَدْ أرْسَلْنَاكَ بِمَا يُسْعِدُهُمْ فِى دِينِهِمْ وَفِى دُنْيَاهُمْ وَفِى آخِرَتِهِمْ مَتَى اتَّبَعُوكَ ، وَاسْتَجَابُوا لِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ ، وَأطَاعُوكَ فِيمَا تَأمُرُهُمْ بِهِ أوْ تَنْهَاهُمْ عَنْهُ .

–وَفِى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : { إنَّمَا أنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ } فَرِسَالَتُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَحْمَةٌ فِى ذَاتِهَا ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ انْتَفَعَ بِهَا مَنِ اسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهَا ، أمَّا مَنْ أعْرَضَ عَنْهَا فَهُوَ الَّذِى ضَيَّعَ عَلَى نَفْسِهِ فُرْصَةَ الانْتِفَاعِ .

(و)عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْأعْدَاءِ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أنْ عَصَمَهُ مِنَ الْأعْدَاءِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ}.(المائدة:٦٧).

–هَذَا أمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأعْظَمِ الْأوَامِرِ وَأجَلِّهَا، وَهُوَ التَّبْلِيغُ لِمَا أنْزَلَ اللَّهُ إلَيْهِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ أمْرٍ تَلَقَّتْهُ الْأمَّةُ عَنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأعْمَالِ وَالْأقْوَالِ، وَالْأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ.

فَبَلَّغَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أكْمَلَ تَبْلِيغٍ، وَدَعَا وَأنْذَرَ، وَبَشَّرَ وَيَسَّرَ، وَعَلَّمَ الْجُهَّالَ الْأمِّيِّينَ حَتَّى صَارُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَبَلَّغَ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

فَلَمْ يَبْقَ خَيْرٌ إلَّا دَلَّ أمَّتَهُ عَلَيْهِ،وَلَا شَرٌّ إلَّا حَذَّرَهَا عَنْهُ،وَشَهِدَ لَهُ بِالتَّبْلِيغِ أفَاضِلُ الْأمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أئِمَّةِ الدِّينِ وَرِجَالِ الْمُسْلِمِينَ.

{وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ} أيْ: لَمْ تُبَلِّغْ ما أنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ {فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} أيْ: فَمَا امْتَثَلْتَ أمْرَهُ. { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } هَذِهِ حِمَايَةٌ وَعِصْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مِنَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ حِرْصُكَ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّبْلِيغِ، وَلَا يُثْنِيكَ عَنْهُ خَوْفٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَإنَّ نَوَاصِيهِمْ بِيَدِ اللَّهِ وَقَدْ تَكَفَّلَ بِعِصْمَتِكَ، فَأنْتَ إنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ،فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ،وَأمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا قَصْدَ لَهُمْ إلَّا اتِّبَاعَ أهْوَائِهِمْ فَإنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيهِمْ وَلَا يُوَفِّقُهُمْ للخَيْرِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٠٤٦)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(٢٤٨٩)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:
كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : {وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} فَأخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ رَأسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : {يَا أيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ}.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ ابْنُ حِبَّان-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-كَمَا فِي(مَوَارِدِ الظَّمْآن)للهَيْثَمِيّ بِرَقَمِ(١٧٣٩)وَصَحَّحَهُ الْوَادِعِيُّ فِي صَحِيحِ أسْبَابِ النُّزُولِ بِرَقَمِ(٩٩)مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذَا نَزَلَ مَنْزِلًا نَظَرُوا أعْظَمَ شَجَرَةٍ يَرَونَهَا فَجَعَلُوهَا للنَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا وَيَنْزِلُ أصْحَابُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ فَبَيْنَمَا هُوَ نَازِلٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَقَدْ عَلَّقَ السَّيْفَ عَلَيْهَا إذْ جَاءَ أعْرَابِيٌّ فَأخَذَ السَّيْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ نَائِمٌ فَأيْقَظَهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟
فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{اللَّهُ فَأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ الآيةُ }.

(ز)تَفْضِيلُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنْ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى:{تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}.(البقرة:٢٥٣).

–وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}.(البقرة: ٢٥٣)هُوَ سَيِّدُنَا مَحَمَّدٌ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَصَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ الْخَالِدَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَصَاحِبُ الرِّسَالَةِ الْجَامِعَةِ لِمَحَاسِنِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ.

–وَمِنْ تَفْضِيلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَمَعَ لَهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَكَذَلِكَ فِي عُرُوجِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَارْتِفَاعِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ كَآدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَا فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،وَيُوسُفَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ،وَإِدْرِيس فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَهَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ،وَمُوسَى الْكَلِيم فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،بَل وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ،هَذَا دَلِيلُ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

•وَقَرَنَ اسْمَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِلَى اسْمِهِ سُبْحَانَهُ فِي شَهَادَةِ الْحَقِّ وَالدُّخُولِ إِلَى الْإِسْلَامِ،وَيُصْدَحُ بِهَا عَلَى الْمَآذِنِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

•وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى الْإِيمَانِ بِخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}.(آل عمران:٨١).

•وَمِنْ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٣١٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ}.

–وَفِي رِوَايَةِ الشَّيْخَيْنِ الْبُخَارِيِّ بِرَقَمِ(٤٣٨)وَمُسْلِم بِرَقَمِ(٥٢١)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–:{أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ}.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (٢٢٨٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ:

هَلّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ}. وَفِي رِوَايَةٍ :{مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٢٧٨)مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ

}.

(ح)تَكْرِيمُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أُمَّتِهِ:

-لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بَيْنَ أُمَّتِهِ وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:

(١)وُجُوبُ اتِّبَاعِهِ وَالتَّأَسِّي بِهِ:

-قَالَ تَعَالَى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(آل عمران:٣١).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا}.(الأحزاب:٢١).

(٢)وُجُوبُ طَاعَتِهِ وَالْحَذَرُ مِنْ مُخَالَفَتِهِ:

-قَالَ تَعَالَى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}.(النِّساء:٨٠).

-وَقَالَ تَعَالَى:{لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(النّور:٦٣).

-وَقَالَ تَعَالَى:{مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }.
(الحشر:٧).

(٣)عَدَمُ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ عَلَى صَوْتِهِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(الحجرات:١).

-وَقَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(الحجرات:٢-٥).

(٤)تَقْدِيمُ مَحَبَّتِهِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ}.(التّوبة:٢٤).

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(١٥)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٦٦٣٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ}.

-وَكَرَّمَ مَنْ قَدَّمَ حُبَّهُ عَلَى حُبِّ النَّفْسِ أَنَّهُ سَيُحْشَرُ مَعَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦١٦٧) وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٢٦٣٩)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:

أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ:

وَيْلَكَ! وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ -وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي- فَقَالَ: إِنْ أُخِّرَ هَذَا، فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ}.

(٥)وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ وَتَوْقِيرِهِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.(الفتح:٩).

(٦)وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.(الأحزاب:٥٦).

(ط)تَكْرِيمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

-لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:

(١)الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَالشَّفَاعَةُ الْخَاصَّةُ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٣٣٤٠)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٩٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ -وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً.

وَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ:

يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي

غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ،
فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟
أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرَهُ}.

–وَكَمَا ذكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ –أَحَدُ رُواةِ الْحَدِيثِ– فِي نِهَايَةِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ لَا يَحْفَظُ بَاقِيَ الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا دَلَّهُمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِبْرَاهِيمُ دَلَّهُمْ عَلَى مُوسَى، وَمُوسَى دَلَّهُمْ عَلَى عِيسَى،وَعِيسَى دَلَّهُمْ عَلَى النَّبِيِّ–مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا بَيَّنَتِ الرِّوَايَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

–وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٣٠٤)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٩٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ يَدْعُو بها، وأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي في الآخِرَةِ}.

(٢)الشَّهَادَةُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ:

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }.(البقرة:١٤٣).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا}.(النِّساء:٤١).

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٤٨٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ:

مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ}.

(٣)صَاحِبُ الْحَوْضِ وَنَهْر الْكَوْثَر:

-قَالَ تَعَالَى:{إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ}.(الكوثر:١).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مُمْتَنًا عَلَيْهِ: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}أَيْ:

الْخَيْر الْكَثِير، وَالْفَضْل الْغَزِير، الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ، مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ النَّهْرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ { الْكَوْثَر } وَمِنَ الْحَوْضِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فِي كَثْرَتِهَا وَاسْتِنَارَتِهَا، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا}.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٠٠)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ} (الكوثر:١- ٣)، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ}.

زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: ماَ أَحْدَثَ بَعْدَكَ. وَفِي روَايَة: أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِغْفَاءَةً، بنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مُسْهِرٍ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ وَلَمْ يَذْكُرْ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ}.

(٤)أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(١٩٦)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ}.

(٥)صَاحِبُ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ: (٣٨٤)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي

إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ}.(انْظُرْ: رِسَالَتِي"تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الْعَلِيِّ فِي فَضَائِلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ-ﷺ- ").

•فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْأَوَّلِين،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْآخِرِين،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّين،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية